المجلَّة الأردنيَّة في

اللُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة علميَّة عالميَّة محكّمة

المجلد (٢)، العدد (١)، ذو الحجة ١٤٢٦هـ / كانون الثاني ٢٠٠٦م

رئيس التحرير
أ.د سمير الدروبي

سكرتير التحرير
سالم الجعافرة

هيئة التحرير
أ.د حسين عطوان
أ.د نهاد الموسى
أ.د يوسف بكار
أ.د محمود مغالسة
أ.د عبدالفتاح الحموز
أ.د خالد الكركي

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د عبدالكريم خليفة	أ.د ناصر الدين الأسد
أ.د محمود السمرة	أ.د شاكر الفحام
أ.د أحمد الضبيب	أ.د عبدالملك مرتاض
أ.د أحمد مطلوب	أ.د عبدالسلام المسدي
أ.د محمد بن شريفه	أ.د عبدالعزيز المقالح
أ.د عبدالعزيز المانع	أ.د عبدالقادر الرباعي
أ.د عبدالجليل عبدالمهدي	أ.د صلاح فضل

المدقِّق اللغويّ (العربي)
أ.د يحيى عبابنة

المدقق اللغوي (الانجليزي)
د. خالد الشقير

التنضيد والاخراج الضوئيّ
محمود نايف قزق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محتويات العدد

المجلَّد (٢)، العدد (١)، ذو الحجة ١٤٢٦هـ / كانون الثاني ٢٠٠٦م

البحوث باللغة العربية

٠	توظيف اللهجة المحكية والتراث الشعبي في أعمال عزالدين المناصـــرة الشعرية		د. طارق عبدالقادر المجالي	١١
٠	الهمزة و (هل) دراسة في الفروق التركيبية والدلالية		د. محمود رمضان الديكي	٤١
٠	من أساليب العربية لا أبا لك – لا جَرَمَ دراسة لغوية: نحوية ودلالية		د. يحيى بن محمد الحكمي	٦١
٠	إعجاز القرآن بين الرماني وابن سنان وصلة ذلك بآرائهما في البلاغة القرآنية		د. عبدالكريم الحياري	٧٩
٠	أرتقيات صفي الدين الحلي		د. حامد صادق قنيبي	١١١
٠	خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين بن الخطيـــب قراءة في المكونات والروافد الثقافية		د. فايز عبدالنبي القيسي	١٥٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"من أساليب العربية لا أبا لك – لا جَرَمَ دراسة لغوية: نحوية ودلالية"

د. يحيى بن محمد الحكمي*

ملخّص

تناول البحث أسلوبين من أساليب العربية وهما: (لا أبا لك – لا جرم) من ناحيتين:

أولاً: الناحية اللغوية الدلالية وتوصل الباحث إلى المعاني المختلفة لكل أسلوب وكان اعتماده في هذا الجانب على المعجمات العربية وأقوال العلماء المختصين.

ثانياً: الناحية النحوية. وقد تناول الباحث من خلالها تخريجات النحويين وإعراباتهم هذين الأسلوبين.

وكان من أبرز النتائج التي أفضت إليها هذه الدراسة:

١- لم يرد أسلوب : (لا أبا لك) في القرآن الكريم على الرغم من وروده بكثرة في شعر العرب.

٢- إعراب أسلوب (لا أبا لك) ليس محل اتفاق بين النحاة بل هو محل نزاع واختلاف.

٣- ورد أسلوب : (لا جرم) في القرآن الكريم في خمسة مواضع على حين أن شواهده الشعرية قليلة.

تعددت استعمالات العرب لأسلوب: لا جرم بالحذف والزيادة كما تعددت أراء النحاة في إعرابه.

Abstract

In the name of Allah, most Gracious, most meraful

This research deals with two modes from Arabic modes which are “la’ aban laka – la jarama”.These modes are considered from two perspectives.

First :- linguistic and semantic perspective

Deals with some new findings of several meanings for each style. His reliability and dependence are on Arabic lexicons and specialized scholars’ utterances.

Secondly:- Grammatical Perspective:

The research focuses on the grammarians’ exegesis, deductions and analysis of these two modes.

The following prominent results and findings:

١- The mode “la aban laka” did not exist in the Holy Quran, despite its Occurance in Arabic poetry.

٢- Analysis of the mode “la aban laka” is not a point of congruity between grammarians, but differences.

٣- The mode (la jarama) occurred in five places in the Holy Quran. However its poetic evidences are rare.

The usages for the mode “ La jarama” are multitudinous by omission and increase. The grammarians hold several viewpoints about its analysis.

* قسم اللغة العربية، كلية المعلمين في جازان، المملكة العربية السعودية.

Ó حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا نفتقر إلى دليل عندما نقول إن اللغة العربية من أغزر اللغات مادة وأقدرها على تأليف الجمل، وصياغة العبارات، ذلك أنها تؤدي المعنى الواحد بطرق شتى من الإيضاح والتصريح أو التكنية والتلميح أو الحقيقة والمجاز في ضروبه المختلفة، ومن الإيجاز إلى الإطناب، إلى كثير من ضروب الأداء.

ولعل مما يستوجب النظر ويستحق التأمل أننا نجد كثيراً من الكلمات العربية المنثورة في مواد المعاجم العربية قد هُجرت، كما أن كثيراً من العبارات قد عُطِّلت وتُرِك استعمالها فإذا بنا نجدها مجفوة من الاستعمال في عصرنا الحاضر إما جهلاً بها، أو إيثاراً لغيرها عليها، أو لعدم الحاجة إليها، أو غير ذلك من الأسباب.

وغير خاف أن للقرآن الكريم فضلاً لا ينكر على العربية؛ فقد أمدها بمدد زاخر من الكلمات التي أضافت إلى معجمها الجديد، كما كان لخروج العرب خارج الجزيرة العربية مبشرين وداعين إلى الإسلام أثر في زيادة ثروة اللغة العربية اللفظية ونمو معجمها، وذلك بسبب عملية التأثر والتأثير والتعريب التي اتخذت طريقها في العربية منذ وقت غير بعيد.

وقد استوقفني أن كثيراً من عبارات العربية وأساليبها لم يعد مستعملاً في زماننا هذا، وكأنما وقف استعمالها على العصر الذي ساغ للعلماء تسميته عصر الفصاحة. فهل أصبحت اللغات في عصرنا هذا غير محتاجة إلى مثل هذه العبارات والأساليب لأن حاجات جديدة قد جدت فصرفت المتحدثين عن البحث في هذه اللغة ليجدوا فيها ما يفي بهذه الحاجات؟ وإذا كان الأمر كذلك فإن دراسة الأساليب القديمة دراسة لغوية تكشف معناها يدخل في معرفة تاريخ اللغة الفصحى أو القديمة، وعندما نقول القديمة فإن معنى ذلك أن العربية المعاصرة قد خلت من هذه الأساليب التي تمثل ألواناً بديعة من البيان، ويؤكد ذلك أن اللغة المعاصرة قد خلت من الأمثال فيما عدا ما يستعيره بعض الكتاب من العربية القديمة أحياناً للتعبير عن بعض المواقف في الحياة المعاصرة.

ومن هذه الأساليب التي أثارت اهتمامي فرأيت أن أدرسها: قول العرب:(**لا أبا لك– لا جرم أن ...**) فأما العبارة الأولى فقد وقعت في كثير من كلام العرب شعراً ونثراً، بيد أنها لم ترد في القرآن الكريم، وربما كان ذلك لأن القرآن الكريم كان يتخير من كلام العرب أصفاه معنى وأبعده عن الغرابة وأنسبه لمقصوده.. وأما العبارة الثانية فقد وردت في القرآن الكريم في خمسة مواضع فضلاً على ورودها في كلام العرب. والذي يجمع بين الأسلوبين أن كلا منهما أسلوب نفي يتركب من " لا " النافية وكلمة أخرى.

وقد تركزت هذه الدراسة حول هذين الأسلوبين على ناحيتين:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأولى: الناحية اللغوية الدلالية وذلك للوقوف على الدلالات والمعاني المختلفة لكل أسلوب مستعيناً في ذلك بالمعجمات العربية وأقوال العلماء المختصين المنثورة في كتبهم.

الثانية: الناحية النحوية وذلك للوقوف على تخريجات النحويين وإعراباتهم هذين الأسلوبين ليتضح في نهاية الأمر ما إذا كانوا متفقين أم مختلفين ودواعي ذلك.

وقد جاءت النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة كما يلي:

أولاً: أسلوب (لا أبا لك):

١ - الناحية اللغوية الدلالية :

تُعدُّ هذه العبارة من جمل الدعاء في العربية ولها أمثال هي "لا أم لك" "ولا أخا لك"؛ فأساليب الدعاء في العربية كثيرة ومتنوعة، منها ما يبدأ بالفعل كقولهم: هُديت خيراً، ومنها ما يبدأ بالاسم المرفوع نحو: رحمة الله عليه، ومنها ما يبدأ باللام ومدخولها نحو: لك الحمد، لك الويل، ومنها ما يرد في عبارة صدرت بالمصدر المنصوب نحو: سقياً ورعياً.

لكن المتأمل شعر العرب ونثرهم يجد أن قولهم: **"لا أبا لك"** يستأثر بالنصيب الأكبر من الشواهد من ذلك قول عنترة :

فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقْتلِ(١)

وقول آخر:

عزاء لا أبا لك إن شيئاً تولي ليس يرجعه الحنينُ(٢)

وقول المتلمس:

ألق الصحيفة لا أبالك إنه يُخشى عليك من الحياء النقرسُ(٣)

---

(١) ديوان عنترة، شرح يوسف عيد، بيروت ٢٠٠١م، ص٨٩ والخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٦م، ١/٣٤٤، وخزانة الأدب لعبد القاهر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، ١٠٧/٤.

(٢) البيان والتبين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٩٨٩م، ٩٦/٣.

(٣) البيت في الخصائص ٣٤٥/١، والخزانة ١٠٧/٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقول الحطيئة:

أقلُّوا عليهـــم لا أبـــا لأبيـــكم من اللوم أوسُدُّوا المكان الذي سَدُّوا[١]

وقول زهير:

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يَعِشْ ثمانين حولاً لا أبا لك يسأمِ[٢]

ومن ذلك أيضاً قول جرير:

يا تيمَ تيمَ عَدْيٍ لا أبا لكمُ لا يُلْقِينْكم في سَوأةٍ عُمرُ[٣]

وقول كعب بن زهير في لاميته المشهورة:

فقلت: خَلُّوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قَدَّرَ الرحمنُ مفعولُ[٤]

أما في النثر فقد ورد كثيراً[٥]، والذي يتأمل مواقع هذه العبارة من كلام العرب يقف على عدة دلالات لها، تختلف تبعاً للسياق الذي يحتويها، والمقام الذي يكتنفها.

استعمالات أسلوب (لا أبا لك)

ويستعمل أسلوب (لا أبا لك) استعمالات عديدة، منها:

(١) ديوانه ص٣٠.

(٢) ديوان زهير ، البيان والتبيين، ص٣٤٦ والكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون ت الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٨م، ٥٣/١، والخصائص ٣٤٥/١، شرح المفصل، لابن يعيش – المطبعة المنيرية – القاهرة (بدون تاريخ)،١٠٥/٢.

(٣) ديوان جرير، شرح يوسف عيد، دار الجيل – بيروت (بدون تاريخ)، ص٣٤٦، والكتاب ٥٣/١، والخصائص ٣٤٥/١ وابن يعيش ١٠٥/٢.

(٤) ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد السكري، دار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٥٠م ،ص١٩، وشرح بنت سعاد ص٨٠.

(٥) انظر مثلاً: العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٣٣/٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ- **يستعمل هذا الأسلوب في الحث على الجد في الأمر والتشمير له:** لأن من ليس له أب يعول عليه في أمور المعاش جدير بأن يجاهد ليعيش، يقول أبو العباس المبرد معلقاً على قول الحسن البصري للإمام علي: "ولِمَ تُحكم والحق معك؟ ألا تمضي قدماً لا أبا لك وأنت على الحق... قال أبو العباس: هذه كلمة فيها جفاء والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والإغراء[١]".

ب- **يستعمل هذا الأسلوب في مقام الذم:** والمعنى حينئذ أن المخاطب مُضيَّع في الناس، ليس له نسب ينتمي إليه ويدين له بالبنوة، من أمثلة ذلك قول كعب بن زهير:

فقلت: خَلُّوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قَدَّرَ الرحمنُ مفعولُ

يقول ابن هشام: "واعلم أن قولهم (لا أبا لك) كلام يستعمل كناية عن المدح والذم. ووجه الأول أن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه، ووجه الثاني أن يراد أنه مجهول النسب. والمعنيان محتملان هنا، أما الثاني فواضح لأنهم لما لم يُغنُوا عنه شيئاً أمرهم بتخلية سبيله ذماً لهم[٢]".

ج- **يستعمل هذا الأسلوب في الدعاء على المخاطب**، والمعنى أنه لا خير فيه، وهو حقيق أن يُدْعَى عليه بفقد الأب، فإذا قلت لإنسان ما: لا أبا لك، فأنت لا تنفي في الحقيقة الأبوة، وإنما تخرجه مخرج الدعاء، أي: أنت عندي ممن يستحق أن يُدعى عليه بفقد أبيه، يشير أبو الفتح بن جني إلى هذا المعنى في قوله: "ويؤكد عندك خروج هذا الكلام مخرج المثل كثرته في الشعر، وأنه يقال لمن له أب، ولمن ليس له أب، فهذا الكلام دعاء في المعنى لا محالة وإن كان في اللفظ خبراً ولو كان دعاء مصرحاً وأمراً معنياً لما جاز أن يقال لمن لا أب له، لأنه إذا كان لا أب له لم يجز أن يُدْعَى عليه بما هو فيه لا محالة، ألا ترى أنك لا تقول للأعمى أعماه الله"[٣].

د- **يستعمل هذا الأسلوب في معنى التعجب:** ويراد به أن المخاطب قد بلغ من التقدم والامتياز حداً جعله ينشأ على خلاف ما ينشأ الناس، فلكل واحد من الناس أب ينتمي إليه وينحدر منه، أما هو فخلق عجيب، خلقه الله تعالى من غير أن يجعل له أباً كالآخرين. ومثل هذه العبارة قولهم: (لله دره فارساً)،

(١) الكامل للمبرد ٣/١١٣٨.
(٢) شرح بنت سعاد ص٨١.
(٣) الخصائص ١/٣٤٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالدر هو اللبن، وهو غذاء الطفل يرضعه من ثدي أمه، لكن العبارة تنسب اللبن إلى الله ولا تنسبه إلى أمه فيقال(لله دره فارساً) ومعنى ذلك أن اللبن الذي غذي به من يقال له ذلك لبن إلهي اختص به.

روى المبرد أن سليمان بن عبد الملك سمع رجلاً من الأعراب في سنة مجدبة يقول:

رب العبـــاد ما لنـــا ومالكـــا قد كنت تسقينا فما بدا لك

أنزل علينا الغيث لا أبا لك

ولعل الأعرابي يقصد بقوله هذا نفي الشرك عن الله في أفعاله فإذا أراد أن ينـــزل الغيث لا مانع يمنعه من ذلك من منطلق أن الأب في نظر الأعرابي صاحب السلطة العليا على ابنه، وهو موضع المشورة لديه، والله منزّه عن هذا، وهذا القول بجملته يحمل معنى التعجب؛ إذ القائل يتعجَّب من أنَّ الله تغيَّر عليهم إذْ أمسك الغيث بعد أن عوّدهم إرساله، وعليه؛ فالعجب من عدم الفعل لا من الله تعالى.

فأخرج قوله أحسن مخرج فقال: "أشهد أنه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة، وهو الأحد الصمد"[(١)] فالذي يفهم من هذا الرجز أن الأعرابي يقر بأن الله يسقيهم، ومن ثم فلا يعقل أن يذمه أو يدعو عليه، بل الأقرب أن يُحمل قوله على التعجب!.

هـــ- **يستعمل هذا الأسلوب في مقام المدح**، ذهب إلى ذلك بعض العلماء ومنهم ابن هشام، حيث يقول: "واعلم أن قولهم: لا أب لك كلام يستعمل كناية عن المدح والذم، ووجه الأول أن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه[(٢)]" والذي يبدو للوهلة الأولى أن هذه العبارة تنافي المدح، إذ ظاهرها دعاء على المخاطب أو ذم له، ولكن المقام قد يقتضي أن تتحول هذه الجملة الدعائية إلى مديح، روى المبرد أن بعض العرب كانوا يستعملون هذه العبارة عند المسألة والطلب، فيقول القائل للأمير والخليفة انظر في أمر رعيتك لا أبا لك[(٣)] فهل يعقل أن يذم سائل من يسأله أو يدعو عليه!! إن المقام مقام مدح، وليس للسائل إلا إظهار المسكنة والتذلل لمن يسأله إن أراد أن يظفر منه بنائل.

والذي يؤكد أن عبارة الذم الدعائية قد تخرج عن هذا المعنى ويراد بها المدح أحياناً ما يجري على ألسنة العوام من مثل قولهم:(الله يجازيك)، (الله يخرب بيتك)، وهم إنما يمدحون من يقال له ذلك.

(١) الكامل، للمبرد ١١٣٨/٣.

(٢) شرح بانت سعاد، ص٨١.

(٣) الكامل، للمبرد ١١٣٩/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما ذكر آنفاً من دلالات لأُسلوب **(لا أبا لك)** يرد على ما زعمه السامرائي من أنَّ هذه العبارة لا تدل على خصوصية معنوية، إذ يقول:"ولو أّنك قرأت قول زهير:

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأمِ

أحسست أن قوله **(لا أبا لك)** كلام معترض لا يدل على خصوصية معنوية، بل هو تعبير جميل استحسنوه فاستعملوه كثيراً، وأقيم به الوزن في البيت[١]". لكن ما القيمة الجمالية لهذا التركيب إذا كان يخاطب به الملوك والسوقة على حد سواء؟! وما وجه حسنه في النثر؟!

والذي لا مراء فيه أنَّ العرب لم تضع كلمات أو عبارات خالية من الدلالة المعنوية، فعبقرية العربية – التي يجسدها القرآن الكريم- تكمن في أن الألفاظ تكون دائماً على قدر المعاني، حتى لو وجد ما سمى بالزيادة أو الصلة أو الحشو أو اللغو كزيادة (ما) في قوله تعالى **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾**[٢] فإنما زيدت لتأكيد الكلام وتقويته في ذهن السامع، و لم يكن وجودها في الكلام عبثاً، وليست عبثاً على الجملة.

٢ - الناحية النحوية :

أما من الناحية النحوية فإن أسلوب (لا أبا لك) يدرس في باب لا النافية للجنس، أو لا التبرئة كما ينعتها الكوفيون، لذا لابد من توطئة تعرف بلا النافية للجنس وبشروط إعمالها، حتى نستطيع أن نتبين عملها في هذه العبارة.

فلا النافية للجنس وضعت لاستغراق النفي وعمومه، لذا اشترط في اسمها أن يكون نكرة متصلاً بها نحو (لا رجل في الدار)، ولا يصح أن يكون معيناً وإلا كان النفي له وحده. أمَّا إذا كان اسمها معرفة أو نكرة منفصلاً عنها أُهملت وكررت نحو قوله تعالى: **﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينـــزفون﴾**[٣]، وقولك:(لا هذا ولا ذاك مجديان). ولكن الواقع اللغوي يشهد بما ظاهره وقوع اسم "لا" معرفة علماً في نصوص كثيرة، فكيف كان صنيع النحاة إزاء هذه الظاهرة اللغوية؟

وقع في نصوص كثيرة اسم لا النافية للجنس معرفة من ذلك قول عبد الله بن الزَّبير الأسدي:

أرى الحاجات عند أبي خُبيب نَكِدنَ ولا أُمَيَّةَ في البلادِ [٤]

(١) من أساليب القرآن، للدكتور/إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣م،ص ٣١.

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٥٩.

(٣) سورة الصافات الآية ٤٧.

(٤) قاله في عبد الله بن الزبير. وهـــو من شواهد: الكتاب ٢/٢٩٦، والمقتضب ٤/٣٦٣، والأصول ١/٣٨٣، وابن يعيش ٢/١٠٤، وارتشاف الضرب، ٣/١٣٠٧، والخزانة ٤/٦١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقول الآخر:

*** لا هيثَم الليلة للمطيِّ[1]***

وقول عمر رضي الله عنه بحق الإمام علي رضي الله عنه :"قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها[2]".

وقولهم: لا بصرة لكم. فكل من أميَّة وهيثم وبصرة علم، و"أبا حسن" كنية. فأميَّةُ علم على الجد الذي تنسب إليه الدولة الأموية، وهيثم اسم رجل يحسن الحداء، وبصرة علم على المدينة العراقية المشهورة، و"أبا حسن" كنية الإمام علي رضي الله عنه.

فاسم (لا) معرفة في جميع هذه النصوص، إلا أنَّه لا يراد به نفي كل من اسم هيثم، وأمية، وبصرة، ولكن يُراد نفي أسماء منكرة اتصف أصحابها بالأوصاف التي غلبت على أصحاب هذه الأسماء، وهي جودة الحداء وسخاء بني أمية، وفطنة الإمام علي رضي الله عنه. والعلم إذا اشتهر بوصف يصبح بمنزلة اسم الجنس الذي يدل على هذا الوصف، إذن يكون المنفي في هذه النصوص أمثال هؤلاء، الأعلام التي ذكرت فيها، ممن يقوم مقامها في الأوصاف التي اشتهرت بها. فيسري النفي على أمثالهم ومن هو في خلالهم لا نفي هؤلاء المعرّفين فحسب.

فالمعنى في النص الأول مثلاً (لا هيثم) يكون لا مثلَ هيثم، ولا مثل أمية في قوله: ولا أُميَّة في البلاد. ولما كان النفي للمثل في التقدير كان اسم لا نكرة وإن كان النفي مضافاً إلى معرفة، لأن كلمة (مثل) ملازمة للتنكير وإن أُضيفت إلى معرفة، يشهد لذلك قول ذي الرمة:

هي الدارُ إذ مَيٌّ لأهلك جيرةٌ ليالــيَ لا أمثالهــن لياليــا[3]

يعلق المبرد على ذلك بقوله:"فأمثالهن نصب بلا، وليس معها بمنزلة اسم واحد[4]".

فإذا وقع بعد اسم لا اسم مجرور باللام نحو (لا غلام لك) كان اسم لا مبنياً على الفتح؛ لتركبه مع لا كتركب خمسة عشر وبابه، والجار والمجرور خبر له، أو صفة لاسمها والخبر محذوف. وإذن يكون قول العرب:

(١) هذا بيت من الرجز، وبعده: ولا فتى مثلُ ابن خبيري. وهو في الكتاب ٢/٢٩٦، والأصول ١/٣٨٢، وابن يعيش ٢/١٠٢، شرح الأشموني، وبهامشه حاشية الصبان، مطبعة عيسى الحلبي – القاهرة ٢/٤.

(٢) هذا القول في: الكتاب ٢/٢٩٧، والمقتضب ٤/٣٦٣، وارتشاف الضرب ٣/١٣٠٦.

(٣) ديوان ذي الرمة، تصحيح كارليل هنري هيس، كمبردج ١٩١٩م ، ص٦٥٠، والكتاب ٢/٢٩٢، والمقتضب ٤/٣٦٤، وابن يعيش، ٢/١٠٣والتبصرة ١/٣٩٠.

(٤) المقتضب ١/٣٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" **لا أبا لك** " جارياً على خلاف الأصل، لأنه منصوب مع أنه غير مضاف، وحقه أن يكون مبنياً على الفتح، وأن تكون العبارة: " **لا أبَ لك** " كما ورد في قول نهار بن توسعة اليشكري:

أبي الإسلامُ لا أَبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم (١)

مذاهب النحويين في تخريج أسلوب (لا أبا لك):

ذهب النحويون في تخريج أسلوب " **لا أَبا لك** " مذاهب عدة أهمها:

المذهب الأول: أما المذهب الأول في تخريج أسلوب "لا أبا لك" فهو أنَّ كلمة "أبا" ليست اسماً لـــ"لا" مفرداً ولكنه مضاف إلى الكاف، واللام مقحمة بين المضاف والمضاف إليه، هذا هو مذهب الجمهور(٢) والذي يدل على أن اسم " لا " قد أضيف إلى الكاف في (لا أبا لك) أنه قد أضيف للكاف إضافة مباشرة وإن كانت شاذة في قول مسكين الدارمي:

وقد مات شَمَّاخٌ ومات مُزَوَّدٌ وأيُّ كريمٍ لا أباك يُمتَّعُ(٣)

وقول آخر:

أبالموت الذي لا بُدَّ أَني ملاقٍ لا أباك تُخوفيني(٤)

فيلاحظ هنا أن (أبا)أضيف للكاف و لم يفصل بينهما حرف الجر كما في لا أَبا لك.

يقول سيبويه حاكياً ذلك عن شيخه الخليل:" وقال الخليل رحمه الله هو مثل لا أبا لك، قد عُلِم أنه لو لم يجئ بحرف الإضافة قال: أبك، فتركه على حاله الأولى، واللام هاهنا بمنزلة الاسم الثاني في قوله يا تيم تيم عدى(٥).

(١) البيت: في الكتاب ٢/٢٨٢، وابن يعيش ٢/١٠٤، وهمع الهوامع للسيوطي ١/١٤٥..

(٢) تراجع هذه المسألة في: الكتاب ٢/٢٠٦-٢٠٧، والمقتضب ٤٠٣٧٣، والأصول ١/٣٨٨، شرح بانت سعاد ص٨٠، المساعد لابن عقيل ١/٣٤٣.

(٣) البيت في: الكتاب٢/٢٧٩، والمقتضب ٤/٣٧٥، والأصول ١/٣٩٠، وابن يعيش ٢/١٠٥، والخزانة ٤/١٠٠، والهمع ٢/٩٥.

(٤) البيت لأبي حية النمري، وهو في: المقتضب، لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة،٤/٣٧٥، والتبصرة والتذكرة، للصيمري، تحقيق فتحي أحمد مصطفى – دار الفكر دمشق ١٩٨٢م، ١/٣٩١. والمقرب لابن عصفور ١/١٩٢، وابن يعيش ٢/١٠٥، والهمع ١/١٤٥، والتصريح ٢/٢٦.

(٥) الكتاب ٢/٢٠٦، وقوله يا تيم عدى جزء من بيت لجرير وهو بتمامه:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولإقحام اللام بين المضاف والمضاف إليه في (لا أبا لك) نظائر من كلام العرب، من ذلك قول سعد بن مالك:

يا بــؤس للحــرب التــي وضعــت أراهــط فاستراحــوا[1].

أي: يا بؤس الحرب.

ومثله قول النابغة:

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بؤساً للجهل ضِرَّارا لأقوام[2]

وقد علق سيبويه على ذلك بقوله :"حملوه على أن اللام لو لم تجئ لقلت: يا بؤس الجهل[3]" ومثل البيتين قولهم: لا يدى لك، أي لا طاقة لك به، فقد زيدت اللام في العبارة المأثورة بين يدى والكاف لأمرين:

١- توكيد معنى الإضافة، لأنها في (لا أَبا لك) وشبهها بمعنى اللام، يشير ابن يعيش إلى هذا المعنى بقوله: "إنما خصت هذه اللام بالإقحام دون غيرها من حروف الإضافة، لما فيها من تأكيد الإضافة، إذ الإضافة هنا بمعنى اللام وإن لم تكن موجودة، فإذا قلت: أبو زيدٍ، فتقديره: أبٌ لزيد، فإذا أتيت بها كانت مؤكدة لذلك المعنى غير مغيرة له[4].

والدليل على أن اللام لتوكيد الإضافة أنه لا يجوز أن يفصل بغيرها بين المضاف والمضاف إليه، فلا يصح أن يقال: لا رقيبَى عليها ولا مجيرَى منها، بالفصل بعلى ومن. وذلك يدل على أن اللام هي التي تزاد في مثل هذا الأسلوب: لتوكيد معنى الإضافة لا (على) و (من)، فهما هنا لا تؤديان معنى الإضافة التي تدل عليها اللام[5].

والكاف في لا أبا لك مجرور بحرف وليس بالإضافة، لأن الكاف متصلة بحرف الجر، ولأن جر الاسم بالإضافة يترتب عليه تعليق حرف الجر عن العمل وهذا لا يجوز، وقد يقال: إذا جُعلت اللام هي

يا تيم تيم عدى لا أبالكم لا يلقينكم في سوءةٍ عمر

(١) البيت في: الكتاب ٢/٢٠٧، والمقتضب ٤/٣٧٣، والتبــصرة ١/٣٩١، والخصائص ٣/١٠٢، وشرح بانت ســـعاد ص٨٠، والكامل للمبرد ٣/١١٤٠، والأمالي، لابن الشجرى – حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٥٩هـ ،٢/٨٣.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مــصر – ١٩٧٧م، ص٨٢، والكتــاب ٢/٢٧٨، والخصائص ٣/١٠٦، وأمالي ابن الشجرى ٢/٨٠ وابن يعيش ٢/١٠٥، والخزانة ٤/١٠٨، والهمع ١/١٧٣.

(٣) الكتاب ٢/٢٧٨.

(٤) شرح ابن يعيش ٢/١٠٦، وانظر كذلك: الأصول لابن السراج ١/٣٨٩.

(٥) راجع: الكتاب ٢/٢٨٣ – ٢٨٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العامل كان ذلك يعني أن يكون المضاف معلقاً عن الإضافة، ومن ثم يصبح أسلوب لا أبا لك شاذاً، والحق أنه ليس شاذاً، لأن له نظائر من كلام العرب، من ذلك قول ابن قيس الرقيات:

كيف نومي على الفراش ولما تشملِ الشامَ غارةٌ شعواءُ

تُذهل الشيخ عن بنيه وتبدى عن خدامٍ العقيلةُ العذراء[١]

أي: عن خدامها فحذف المضاف إليه، والعقيلة فاعل، وعليه، فإن أسلوب (لا أبا لك) ليس شاذاً، لأن له نظائر من كلام العرب.

٢- أن اللام وقد فصلت بين المضاف والمضاف إليه جعلت المضاف غير مضاف إليه، وكأنه تبعاً لذلك ليس بمعرفة فأصبحت (أبا) كأنها نكرة، يقول ابن السراج شارحاً هذه المسألة: "ولقائل أن يقول: إذا قلت: "إن قولهم: لا أبا لك تريد به لا أباك، فمن أين جاز هذا التقدير، والمضاف إلى كاف المخاطب معرفة والمعارف لا تعمل فيها لا؟ قيل له: إن المعنى إذا قلت: لا أبا لك الانفصال، كأنك قلت: لا أباً لك، فتنوِّنُ لطول الاسم، وجعلت (لك) من تمامه، وأضمرت الخبر ثم حُذف التنوين استخفافاً ، وأضافوا وألزموا اللام لتدل على هذا المعنى فهو منفصل بدخول اللام، وهو متصل بالإضافة"[٢].

وخلاصة هذا المذهب أن (أبا) من لا أبا لك اسم "لا"، وهو معرب، والكاف مضاف إليه، واللام زائدة لتأكيد معنى الإضافة فلا تتعلق بشيء وأقحمت بين المتضايفين كما أقحمت في النداء في قوله:

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا.

فثبات الألف في (أبا) من لا أبا لك دليل الإضافة، وثبات اللام وعمل لا في هذا الاسم يوجب التنكير والفصل، فهذه اللام مزيلة لصورة الإضافة، وعلى هذا فالخبر محذوف.

المذهب الثاني: وأمّا المذهب الثاني في تخريج أسلوب "لا أبا لك" فهو قول هشام وابن كيسان واختاره ابن مالك ومؤداه أن اللام غير زائدة، وأنها ومصحوبها صفة للأب، فيتعلق بكون محذوف، مرفوع أو منصوب، وشُبِّه غير المضاف بالمضاف في نزع التنوين من المفرد، والنون من المثنى والمجموع، يعلل ابن هشام لهذا التشبيه بقوله: "وأنهم نزلوا الموصوف منزلة المضاف

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لابن الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٥٣م، ٦٦١/٢، والخزانة ٢٨٧/٧.

(٢) الأصول ٣٨٩/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطوله بصفته ولمشاركته للمضاف في أصل معناه، إذ معنى أبوك وأب لك شيء واحد[١] وعلى هذا القول يحتاج لتقدير الخبر.

المذهب الثالث: وأمّا المذهب الثالث في تخريج أسلوب "لا أبا لك" فهو أن نجعل الأب في (لا أبا لك) غير مضاف، وأن ألفه ليست ألف الإعراب، وإنما هي ألف المقصور على لغة من يعرب الأسماء الستة بحركات مقدرة على الألف، ونظير ذلك العبارة المأثورة "مكره أخاك لا بطل" وقد نسب أبو حيان هذا المذهب للفارسي وآخرين[٢].

وعلى رأي هؤلاء تكون اللام غير زائدة، وهي ومجرورها خبر متعلق بكون محذوف مرفوع، وأبا اسم لا مفرد مبنى، ولكنه جاء على لغة من يقول:

إن أباهـــا وأبـــا أباهـــا قد بلغا في المجد غايتاها

وخلاصة القول: إن هذا التركيب مُشكل دلالة وإعراباً، وشاهد ذلك اختلاف العلماء الآنف الذكر وافتراضاتهم التي لا تصل إلى حدّ الإقناع لا من جهة المعنى ولا من جهة الإعراب لكنه استعمال واقع في فصيح الكلام شعراً ونثراً، والذي يظهر لي أن المذهب الأول أوجه من أخويه، ليس لكونه رأي الجمهور فحسب، بل لأنه يخلو مما يشكل في المذهبين الآخرين فيشكل على المذهب الثاني أن الأسماء الستة لا تعرب بالحروف إلا إذا كانت مضافة، ويشكل على المذهب الأخير أن إعراب المقصور لا يمنع أن يكون حرف الجر حرفاً آخر غير اللام، فيقال مثلاً: لا أبا في المنزل، و لم يمنع الجر بغير اللام في هذا الأسلوب وما يشبهه.

ثانياً: أسلوب (لا جَرَمَ):

١ - الناحية اللغوية الدلالية :

بخلاف **"لا أبا لك"** وردت **" لا جرم "** في القرآن الكريم في خمسة مواضع كما سيأتي، كما وردت في الحديث الشريف وكلام العرب شعراً ونثراً، ومن أشهر دلالاتها ومعانيها اللغوية ما يلي:

١ - لا جَرَمَ: أي: لا بُدَّ ولا محالة[٣].

٢ - وقيل: معناه: حَقّاً[٤].

(١) شرح بانت سعاد، ص٨٠.

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور/مصطفى النماس، مطبعة المدني – القاهرة ١٩٩٨م، ٣/١٣٠٢.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م (جرم).

(٤) السابق (جرم).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال أبو أسماء بن الضَّريبة:

ولقد طعنت أبا عيينةَ طعنةً جرمت فزارة بعدها أنْ يغضبوا

أي: حُقَّ لها الغضبُ. قيل: معناه: كسَبَهَا الغضب.(١)

قال سيبويه(٢): "فأمَّا قوله تعالى ﴿**لا جَرَم أَنَّ لهم النَّار**﴾(٣) فإن جَرَمَ عملت لأنها فعل، ومعناها: لقد حقَّ أنَّ لهم النار"(٤).

٣- وذهب الفرَّاء(٥) إلى أنها كلمة كانت في الأصل بمعنى: لا بُدَّ ولا محالة، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم، وصارت بمعنى حَقًّا، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسَم، ألا تراهم يقولون: لا جرم لآتينك.

٤- وذهب الخليل(٦) إلى أن جَرَمَ إنما تكون جواباً لما قبلها من الكلام، يقول الرجل: كان كذا وكذا، وفعلوا كذا وكذا، فتقول: لاجَرَمَ أنهم سيندمون، أو أنه سيكون كذا وكذا.

٥- ونسب ثعلب(٧) إلى الفرَّاء والكسائي أنهما يقولان: لا جَرَمَ تبرئة.

٦- وذهب آخرون(٨) إلى أن لا جرم في قوله تعالى﴿ **لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾(٩) أن "لا" نفي لما ظنوا أنه ينفعهم، فردَّ ذلك عليهم فقيل: لا ينفعهم ذلك، ثم ابتدأ فقال: لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي: كسب ذلك العمل لهم الخسران، وكذلك قوله ﴿**لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون**﴾(١٠) المعنى: لا ينفعهم ذلك، ثم ابتدأ فقال: لا جرم أن لهم عذاب النار، أي: كسب لهم عذابَها. قال الأزهري(١١): وهذا أبين ما قيل فيه.

---

(١) السابق (جرم)

(٢) الكتاب ١٣٨/٣.

(٣) سورة النحل آية ٦٢

(٤) اللسان (جرم).

(٥) معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف، محمد علي النجار، دار السرور، د.ت، ١٤٧/٢.

(٦) الكتاب ١٣٨/٣.

(٧) اللسان (جرم).

(٨) ينظر الدر المصون للسمين الحلبي ٨٨/٤.

(٩) سورة هود آية ٢٢.

(١٠) سبق الإشارة إليها

(١١) تهذيب اللغة للأزهري ٦٦/١١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧- وقال ابن الأثير[١]: "هذه كلمة ترد بمعنى تحقيق الشيء".

٨- وقيل: جرم بمعنى كسب[٢].

٩- وقيل: بمعنى: وجب وحقَّ[٣].

استعمالات أسلوب (لا جَرَم):

جاء في اللسان[٤]: "ويقال: لا جرم، ولا ذا جرم، ولا أنْ ذا جَرَمَ، ولا جَرَ حذفوه لكثرة استعمالهم إياه".

وقال الكسائي[٥]: "من العرب من يقول: لا ذا جرم، ولا أَنْ جرم ولا عن جرم، ولا جر، بلا ميم، وذلك أنه كثر في الكلام فحذفت الميم، كما قالوا: حاشَ لله وهو في الأصل حاشى، كما قالوا: أيش، وإنما هو: أي شيء ؟ وكما قالوا: سو ترى، وإنما هو: سوف ترى.

وزاد الصاغاني[٦]: لا جُرْم بضم فسكون، ولا جَرْم بوزن كَرْم، ومعنى لا ذا جرم، ولا أنْ ذا جرم: أستغفر الله.

وأرى أن أكثر هذه الاستعمالات شيوعاً والأقوى تأييداً بالشواهد هو الأول، فهو الوارد في القرآن الكريم كما سبق وفي الحديث الشريف كما في حديث قيس بن عاصم: **"لا جرم لأُفلَّنَّ حدَّها"**. وقول عمر رضي الله عنه:**"لا جرم إني لا أغسل رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتَّسخ"**[٧]. وقول عبد الله بن مسعود : **"لا أرفع إليه بعدها حديثاً"**[٨]، وقول معاوية :**" لا جرم لا أخيبك فآمر له بمال "**[٩]. وفي شعر العرب كما في بيت ابن أبي الضريبة وكما في قول الشاعر[١٠].

يا أم عمرو بيني لا أو نعـــم

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٢٦٣.

(٢) اللسان (جرم).

(٣) السابق (جرم).

(٤) مادة (جرم).

(٥) اللسان (جرم)

(٦) التكملة والذيل والصلة للصاغاني ٥/٦٠٠

(٧) سنن الترمذي ٤/٦٢٩.

(٨) صحيح مسلم ٢/٧٣٩.

(٩) سنن الترمذي ٤/١٤.

(١٠) من الرجز بلا نسبة في التهذيب ١١/٦٦ واللسان (جرم) (ظلم)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو تصلى الحبل فقد رثَّ ورمَّ

إن تصرمي فراحة مما صـــرم

قلت لها: بيني فقالت:لا جرم

أن الفراق اليوم، واليومُ ظُلم

والعرب تصل كلامها بذى وذا وذو فتكون حشواً ولا يعتد بها[١] كما في قول الشاعر [٢]:

إن كلاباً والدى لا ذا جرم

٢ - الناحية النحوية :

أما من الناحية النحوية فإن الخلاف يطول بين النحويين حول هذه اللفظة وبتتبع ما وقع تحت يدي من كتب النحو والتفسير يمكن تلخيص آراء النحويين في أوجه أربعة كما يلي:

الوجه الأول: وهو مذهب الخليل وسيبويه[٣] والجمهور أنهما رُكِّبا من "لا" النافية و"جرم" وبُنيا على تركبهما تركيب خمسة عشر، وصار معناهما معنى فِعْل وهو "حَقّ" فعلى هذا يرتفع ما بعد "لا" بالفاعلية فقوله تعـــالى: ﴿لا جـــرم أن لهم النار﴾ أي: حَقَّ وثبـــت كون النار لهم واستقرارها لهم[٤].

واستشهد سيبويه بقول الفزاري:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنـــة جَرَمت فزارة بعدها أن يغضبوا[٥]

أي: أحقت فزارة.

وقد ردّ الفراء قول سيبويه واستشهاده فقال معترضاً[١]: "وليس قول من قال: إن جرمت كقولك: حَقَقَت أو حُقِقَت بشيء وإنما لبس على قائله قول الشاعر:

(١) ينظر البحر المحيط لأبي حيان ٥/٢١٣.

(٢) من الرجز بلا نسبة في اللسان (جرم) وتاج العروس (جرم)

(٣) الكتاب ٣/١٣٨.

(٤) ينظر الدر المصون ٤/٨٨.

(٥) من الكامل لأبي أسماء بن الضريبة في اللسان (جرم) وله أو لعطية بن عفيفي في الخزانة١/٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/١٣٦. وبلا نسبه في أدب الكاتب ص٦٢، والاشتقاق ص١٩، والجمهـــرة ص٤٦٥، وجـــواهر الأدب ص٣٥٥، والمقتضب ٢/٣٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد طعنت أبا عيينة.....البيت" ومرد اعتراض الفراء على سيبويه الرواية فكلمة "فزارة" في رواية سيبويه مرفوعة كما نص على ذلك الفراء وهي في رواية الفراء منصوبة[٢].

الوجه الثاني: أن لا تركيب بينهما ولا رد عليهم في الآية، وجرم فعل ماضٍ معناه: كسب والفاعل مضمر، أي: كسب هو أي: فعلهم، و"أن" وما بعدها في موضع نصب على المفعول به وجرم القوم كاسبهم وقال الشاعر: [٣]

نصبنا رأسه في جذع نخل بما جرمت يداه وما اعتدينا

وقال آخر: [٤]

جريمة ناهض في رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا

قلت: نسب السمين الحلبي هذا الرأي[٥] إلى الزجاج و لم أجده بنصه في المعاني المنسوب إليه[٦]، وإنما وجدت بعضه.

الوجه الثالث: وذهب الكسائي[٧] إلى أن معناها: لا صدَّ ولا منع، ويكون "جرم" بمعنى القطع، تقول: جرمت أي: قطعت فيكون "جرم" اسم لا مبني معها على الفتح، وخبرها "أن" وما في حيزها أو على حذف حرف الجر أي: لا منع من خسرانهم[٨].

الوجـــه الرابع: أن "جرم" بمنزلة "لا رجل" في كون "لا" نافية للجنس و"جرم" اسمها مبني على الفتح، وهي واسمها في محل رفع على الابتداء، وما بعدها خبر"لا" النافية، وصار معناها: لا محالة ولا بد[٩]، وقد نسب هذا الرأي للحوفي[١٠].

ولعل الخلاف الذي وقع بين النحاة حول أسلوب (لا جرم) فأفرز لنا عدَّة أوجه وتخريجات مختلفة لعله يعود إلى أمرين رئيسين:

(١) معاني القرآن ٢/٩.
(٢) قلت: وهذا يشهد بوقوف الفراء على كتاب سيبويه والإفادة منه.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) البيت لابن خراس الهذلي ينظر ديوان الهذليين ٦/١٣٣، شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة د.ط، د.ت ٣/١٢٠٥ واللسان "جرم".
(٥) الدر المصون ٤/٨٨.
(٦) معاني القرآن الكريم للزجاج-١/١٢٧.
(٧) الدر المصون ٤/٨٨.
(٨) الدر المصون ٤/٨٨.
(٩) السابق ٤/٨٨.
(١٠) السابق ٤/٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأول: الخلاف حول اسمية (جرم) أو فعليتها.

الثاني: تركيبها أو عدمه.

وبما أن اللغة قد أسعفت كل تلك الآراء وفتحت الباب لكلٍّ أن يجتهد في التخريج والتوجيه فإن في الأمر سعة ولا أرى أن يخطّأ رأي من تلك الآراء طالما عضده دليل من اللغة، إلا أن الذي أميل إليه وأختاره هو ما ذهب إليه الفراء الذي رأى أن (لا جرم) كلمة في الأصل بمعنى: لابد ولا محالة فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة حقاً، فكأنما تحولت إلى معنى القسم " أي أن هذا الأسلوب قد تطور في استخدامه اللغوي حتى نُزِّل منزلة القسم وذلك إذا جاء بعدها ما يصلح للقسم، وعضد ذلك بقوله:" ألا تراهم يقولون: لا جرم لآتينك" فإذا طبقنا ذلك على الآيات الخمس الواردة في القرآن الكريم وفيها كلمة "لا جرم" فإن ذلك مُشكل؛ لأن همزة أن في الآيات مفتوحة ولو كانت جواباً للقسم لكانت مكسورة إلا أن هناك قراءة شاذة بكسر همزة " أنّ " بعد " لا جرم " فقد قرأ عيسى في الشواذ ﴿ لا جرم إنَّ الله ﴾[1] وهذه القراءة تتخرج على وجهين:

الأول: أن المعنى: لا جرم في كذبهم وإهلاكهم، أي : لاشك في ذلك ولا محالة منه ثم استأنف فقال: إن الله يعلم، فيكون المنفي بـــ "لا" محذوفاً.

الثاني: أن المعنى : والله إن الله يعلم ... فهذا على القسم .

أقول: لو صحت القراءة المذكورة لساغ لنا القسم لغة واستقام معنى، فعليه يكون معنى الآية والله أو أقسم أو حقاً إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون.

والحقيقة أننا لو سلّمنا بذلك التطور الدلالي وعاملنا تلك اللفظة معاملة القسم أو تجوَّزنا فاعتبرناها أسلوباً من أساليب القسم فإن ذلك الخلاف الطويل والتخريجات المتعددة ستؤول إلى تخريج واحد وإعراب واحد، وذلك فيما إذا وقع بعد "لا جرم" ما يصلح للقسم، أما في حالة فتح همزة "إن" فإن أيّاً من الآراء النحوية التي سبق عرضها، يصلح أن تخرج عليه الآيات القرآنية، وإن كان رأي الجمهور أولى تقديراً و أظهر تعليلاً.

(١) انظر إعراب الشواذ ١/٧٦٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com